مفاتيح السرور والسعادة في ضوء سورة الشرح

د. عبدالرحمن يتيم الفضلي *

(*) مدرس – بقسم التفسير والحديث – بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

ملخص البحث :

تكلمت في بحثي هذا عن معنى السعادة ومكانها الحقيقي وأنه في القلب ، وأنها قد تحصل في الدنيا وفي الآخرة . وقد تطرَّقتُ أيضًا في البحث إلى التعريف بسورة الشرح من حيث أسمائها ، وترتيبها في المصحف ، ومقاصدها، ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها.

وقد بينت أيضًا أن السعادة إنما هي بالإيمان بالله والأُنْس بطاعته سبحانه ، وليست كما يظن كثير من الناس – في الجاه والسلطان ، أو في الشهرة والمال ، أو في العقل والذكاء فقط .

ثم بينتُ – أيضاً – أن السعادة هي هِبَةٌ من الله ، وأنه لابد من ملازمة اليسر لأيِّ عسر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وذلك لتكرر لفظ اليسر المعرَّف مرَّتين ، أو أن التكرار للمبالغة ، وتثبيتًا للخير.

وقد ذكرتُ – أيضاً – أن للسعادة أسبابًا خارجية وذاتية ، فأما الخارجية : فتكون بتكفير الذنوب والسيئات، فإن في تكفيرهما مِنَّةً عظيمة من الله على عبده.

وإن من أسباب السعادة الخارجية – أيضاً – رَفْع الذِّكْرِ بالثناء الجميل والذِّكر الحَسَن، بل هو مما امتنَّ الله سبحانه وتعالى به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في قوله عز وجل :﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ورَفْعُ الذِّكْرِ المذكورُ في الآية السابقة لا يلزم منه أن يكون في الدنيا أو الآخرة فقط ، بل يَشمل الدنيا والآخرة مَعًا، فإن الله لم يحدده في زمان معينٍ.

وأما أسباب السعادة الذاتية : فأوَّلها : إخلاص الأعمال لله تعالى ، وذلك لترتب القبول للعمل من عدمه على الإخلاص، فقد أمر الله عباده به في أكثر من موضع في كتابه العزيز، منها قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ .

ومن أسباب السعادة الذاتية أيضاً : حُسْن استغلال الوقت، فقد قال النبي صلى الله

عليه وسلم: ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**))[1] ، فإذا أراد الله الخير للعبد شغَلَه بما ينفعه في دنياه وآخرته .

ومن الأسباب الذاتية أيضاً: الصلاة المفروضة ، وقيام الليل، فإنهما صِلة العبد بربه وأُنسُه وقُربه، واختلاؤه برَبّهِ حيث لا يراه أَحَدٌ ، وهذا في قيام الليل. فإن فيهما طمأنينة العبد عند البلاء، وفلاحَه ، ونجاته في الدارين.

ومن الأسباب الذاتية أيضاً : الرغبة فيما عند الله سبحانه، وذلك لأن العبد يكون في الدنيا مُتَعَلَّقَ القلبِ بالله تعالى، لا يلتفت ولا يرجو إلاّ اللهَ تعالى، فإذا كان هذا هو حال القلب مع الله تعالى هدأ وسكن ، ثم اطمأن وسَعِد.

وفي ختام البحث بينتُ أن السرور قد يكون مذموماً ، وهو الذي يُشغل العبدَ ويُبعده عن الله وطاعته.

وقد يكون السرور ممدوحًا ، والممدوح قد يكون في الدنيا ، وهو ما نَتَجَ عن طاعةٍ لله تعالى ومرضاته، وقد يكون في الآخرة ، وذلك عندما يرى المؤمنُ فوزَه ونجاته.

---

(١) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة (٨/ ٨٨) ، رقم : ٦٤١٢.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ شاهدًا، ومُبَشِّرًا، ونذيرًا، صلاةً وسلامًا متلازمين أبدًا إلى يوم الدين، أما بعد :

فإنه لمَّا كانت السعادة مَطْلَبَ جميعِ الناس على اختلاف أجناسهم وتوجهاتهم؛ كان لزامًا عَلَيْنا معرفة مصدرها الأساس، وكيف تحصيلها، حتى لا يضل ناشدها.

ولمَّا كان كتاب الله تعالى هو الهادي، وفيه سعادة الدارين، وذلك لمن تمسك به قولاً وعملاً ؛ كان البحث في سُوَرِه وآياته، ومعرفة حِكَمِه التي ذَكَرها الله فيه أَخْصَرَ الطرق لمعرفة حقيقة السعادة ومكانها .

وقد وجدتُ سورة الشرح تحمل معانيَ كثيرة لأسباب السعادة ، فرأيتُ أن أكتبَ هذا البحث عن أسباب السعادة ومفاتيحها ، وذلك من خلال هذه السورة .

وقد تناولت في بحثي هذا جانب التفسير الموضوعي، وذلك من خلال إظهار هدايات القرآن الكريم في توضيح سُبل السعادة للعباد ، وإبراز الروائع البيانية لكتاب ربِّ البريَّة .

هذا وكلي شكرٌ وتقدير لقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به مِن دعمٍ ماليّ ومعنوي لهذا البحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

هذا وأسأل الله العظيم، ربَّ العرش الكريم أن ينفع به المسلمين، ويجعله ذخراً لي في الآخرة، وأن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى.

خطة البحث :

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة : وفيها : أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وأهداف البحث، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

التمهيد: وفيه : بيان معنى السعادة والسرور، والتعريف بسورة الشرح وبمقاصدها، ومناسبتها لما قبلها ، ولما بعدها .

المبحث الأول : مكان السعادة ومحلها .

المبحث الثاني : السعادة هبة من الله .

المبحث الثالث : ملازمة اليسر لأيِّ عسر .

المبحث الرابع : أسباب السعادة .

المطلب الأول : أسباب خارجية .

المسألة الأولى : تكفير الذنوب والسيئات .

المسألة الثانية : الثناء الجميل والذِّكر الحسن .

المطلب الثاني : أسباب ذاتية .

المسألة الأولى: الإخلاص .

المسألة الثانية : حُسْن استغلال الوقت.

المسألة الثالثة : الصلاة لله وقيام الليل.

المسألة الرابعة : الرغبة فيما عند الله سبحانه.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

أهداف الموضوع :

أولاً : جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع السعادة ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية، سواء أكانت في سورة الشرح أم في غيرها من السور الأخرى.

ثانيًا : تبيينُ حقيقة السعادة .

ثالثًا: ربط الناس بكتاب الله تعالى، وذلك من خلال معرفة أن في القرآن الكريم جميع حلول مشكلاتهم .

أهمية الموضوع :

أولاً : إبراز الهدايات القرآنية في سورة الشرح، واستخلاص الدروس والعِبَر منها .

ثانيًا : بيان العلاج النافع لمشاكل المجتمع من خلال هدايات سورة الشرح.

ثالثًا: كل الناس على اختلاف مشاربها وتوجهها تنشد السعادة وتبحث عنها .

الدراسات السابقة : لم أدَّخر جُهدًا في البحث والتنقيب عن دراسةٍ لموضوعٍ يتكلم عن «السعادة» فوجدت أن هناك مِن أهل العِلْم من تكلَّمَ عن السعادة ، وذلك بربطها بموضوع معيَّنٍ، ولكن لم أجد – حسب علمي – مَن تكلم عن أسباب السعادة : مِن خلال هدايات سورة الشرح عبر دراسة تفسيرية موضوعية.

فمِمَّن تكلم عن السعادة ، وذلك بربطها بموضوع معيَّنٍ :

كتاب : كيمياء السعادة، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.

كتاب : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية.

كتاب : الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر السعدى.

كتاب : ابتسم ، المؤلف: عائض القرني.

كتاب : أسعد امرأة في العالم ، المؤلف : عائض القرني.

كتاب : الإسلام دين السعادة ، المؤلف: موسى محمد علي.

كتاب : تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد ، المؤلف : محمود مهدي الإستانبولى.

كتاب :حسن الإفادة إلى طريق السعادة ، المؤلف: عبد الله السليمان بن حميد.

كتاب : الحياة الطيبة أو قاموس السعادة في الإسلام ، المؤلف: عبد المحسن بن علي المطلق.

كتاب : الزواج الإسلامي السعيد ، المؤلف : محمود المصري.

كتاب : سبيلك إلى السعادة والنجاح ، المؤلف : سمير شيخاني.

كتاب : سعادة الأسرة المسلمة في جنة الدنيا بالحياة المطمئنة الكريمة ، المؤلف : عابد توفيق الهاشمي .

كتاب: طريقك إلى الصحة والسعادة، المؤلف: كليفوردر اندرسن.

كتاب : كيف تسعدين زوجك وتحافظين عليه، المؤلف : رمضان حافظ.

كتاب : لا تحزن ، المؤلف : عائض القرني.

كتاب: لا تحزن وابتسم للحياة، المؤلف محمود المصري.

كتاب : لا تخافي ولا تحزني ، المؤلف: عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني.

كتاب : لا تيأس ، المؤلف : أحمد سالم بادويلان.

كتاب :النجاح والسعادة بين الحظ والذكاء حياتك من الفشل النجاح المؤلف: سيد صديق عبد الفتاح.

ومن خلال ما مرَّ من عناوين للموضوعات التي كُتِبت في موضوع السعادة يتضح:

أن الفرق بين ما أُريد كتابته وتناوله وبين ما سبق ذِكْرُهُ : أن تناولي لموضوع السعادة هو تناول تفسيري موضوعي لإبراز هدايات القرآن الكريم، وذلك لعلاج

مشاكل المجتمع ، وذلك لبحثه عن السعادة بأي طريق كان أو أي صفة كانت.

منهج البحث :

سأسير في هذا البحث – بإذن الله تعالى – على المنهج الاستقرائي الموضوعي للآيات التي تخدم الموضوع جمعاً وتأملاً وتفسيراً، وسيكون منهجي كالآتي :

- العناية بدراسة الآيات القرآنية دراسة تفسيرية وإبراز هداياتها ودلالاتها.
- العناية بأسرار أسلوب القرآن الكريم وإبراز أساليبه البلاغية.
- استنباط الحكم والأحكام من الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.
- ذكر أرقام الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها مع مراعاة كتابة الكلمات القرآنية بالرسم العثماني.
- تخريج الأحاديث والآثار بذكر من خرج الحديث أو الأثر من أصحاب كتب السنة الأصيلة المسندة مع ذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث أو الأثر.
- الاكتفاء بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أي منهما فيخرج من أمهات كتب السنة مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من حيث القبول والرد والصحة والضعف.
- عزو النصوص وتوثيقها من المصادر المعتمدة.
- توثيق المعاني الاصطلاحية من كتب المصطلحات الخاصة بها ، أو من كتب الفن الذي يتبعه المصطلح.
- توثيق المعاني اللغوية من المعاجم المعتمدة ، مع ذكر المادة والجزء والصفحة.
- عمل الفهارس الفنية للبحث، وهي:

أولاً : فهرس الآيات.

ثانيًا : فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعًا: فهرس المراجع.

خامسًا : فهرس الموضوعات .

التمهيد : وفيه : بيان معنى السعادة والسرور في اللغة والاصطلاح. والتعريف بسورة الشرح وبمقاصدها ، ومناسبتها لما قبلها ، ولما بعدها .

تعريف السعادة والسّرور :

السعادة : هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضاد الشقاوة [١].

وقال الفراء : في قوله تعالى:﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ (هود: ٧٣) قال: البركات: السعادة [٢].

والسعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية وسعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية ، وبدنية ، وخارجية [٣].

والسرور: هو لذّة في القلب عند حصول نفْعٍ أو توقّعه، أو اندفاع ضرر[٤].

فحقيقة السّرور: التذاذٌ وانشراحٌ يحصلُ في القلب فقط، من غيرِ حصولِ أثره في الظّاهر[٥].

وقال الجوهريّ : : والسّرور خلاف الحزن، تقول : سرّني فلان مَسَرَّة . وسُرَّ هو، على ما لم يسمّ فاعله [٦].

---

(١) الكليات للكفوي (ص/ ٥٠٦) ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص/ ٤١٠) ، المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار (١/ ٤٣٠).
(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٣١)
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص/ ٤٦٠)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص/ ٢٠٦)
(٤) الكليات (٣/ ٢٧، ٢٨) .
(٥) تاج العروس للزبيدي (١٢/ ١٠).
(٦) الصحاح للجوهري (٢/ ٦٨٢) .

ولا شك أن بعد التعريف بالسعادة والسرور يتضح أن السرور نتيجة للسعادة ، لأنه إذا حصلت المعاونة الإلهية التذَّ القلب وسعد .

التعريف بسورة الشرح :

أسماء السورة : تُسمَّى بالشرح ، والانشراح ، وألم نشرح .

قال ابن عاشور : : سُمِّيت في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري، وجامع الترمذي: « سورة ألم نشرح ، وسُمِّيت في بعض التفاسير : « سورة الشرح» ، ومثله في بعض المصاحف المشرقية ؛ تسميةً بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: « ألم نشرح لك «، وفي بعض التفاسير تسميتها « سورة الانشراح» [١].

ترتيبها في المصحف : هي السورة الرابعة والتسعون ، وذلك حسب ترتيب المصحف العثماني . وهي سورة مكية [٢] ، وعدد آياتها ثماني آيات [٣].

مقاصد السورة : تشتمل هذه السورة الكريمة على أربعة مقاصد[٤]:

أولاً : تعداد ما أنعم الله به على رسوله صلى الله عليه وسلم من النعم.

ثانياً : وعْدُ الله سبحانه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم بإزالة ما نزل به من الشدائد والمحن.

ثالثاً: أمره سبحانه بالمداومة على الأعمال الصالحة.

رابعاً: التوكل عليه وحده، والرغبة فيما عنده.

مناسبتها لما قبلها : جاءت سورة الشرح بعد سورة الضحى، وكأنها مكملة لها.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور(٣٠ / ٤٠٧).

(٢) قال ابن عطية : : وهي مكية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك . (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٥ / ٤٩٦) .

(٣) قال الثعلبي : : مكية ، وهي مائة وثلاثة أحرف ، وسبع وعشرون كلمة ، وثماني آيات . (الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠ / ٢٣٢) .

(٤) تفسير المراغي (٣٠ / ٢٧٩) .

قال البقاعي : : ولما أمره صلى الله عليه وسلم آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه ؛ فصَّلَها في هذه السورة [1].

مناسبتها لما بعدها : خُتِمت سورة «الانشراح» بالدعوة إلى الكد والنصب، فى الحياة الدنيا ؛ لِيبني الإنسان بذلك دار مقامه فى الآخرة، ويعمرها بما يساق إليه فيها من نعيم الله ورضوانه، وبدئت سورة «التين» بهذه الأقسام من الله سبحانه وتعالى، لتقرير حقيقة الإنسان وتذكيره بوجوده، وأن الله سبحانه خلقه فى أحسن تقويم، وأودع فيه القوى التي تمكّن له من الاحتفاظ بهذه الصورة الكريمة، وأن يبلغ أعلى المنازل عند الله، ولكن ميل الإنسان إلى حب العاجلة، قد أغراه باقتطاف اللذات الدانية له من دنياه، دون أن يلتفت إلى الآخرة، أو يعمل لها، فردّ إلى أسفل سافلين.. وقليل هم أولئك الذين عرفوا قدر أنفسهم، فعَلَوا بها عن هذا الأفق الضيق، ونظروا إلى ما وراء هذه الدنيا [2].

المبحث الأول : مكان السعادة ومحلها .

إن مما يخطئ فيه كثير من الناس هو تحديد مكان السعادة الحقيقي ، فبعضهم يظن أنه في الجاه والسلطان أو في الشهرة والمال، وهذا نموذج مغاير نراه في عبدالرحمن ابن محمد الأموي سلطان الأندلس، المدعو: أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، بويع سنة ثلاث مائة للهجرة ، فولِي وعمره اثنتان وعشرون سنة ، وتُوُفِّي الناصرُ: في رمضان، سنة خمسين وثلاث مائة، وله اثنتان وسبعونَ عاماً – رحمه اللهُ – فضَبط المالِك، وخافته الأعداءُ، وكان لا يملُّ من الغزو، افتَتَح سبعين حصناً من أعظَم الحُصون، وكان دَخْلُ الأندلُس يومئذٍ خمسةُ آلافِ ألفِ دينارٍ وأربعُ مائة ألفٍ وثمانين ألفاً، ومن السُّوقِ والمستَخلَص سبعُ مائة ألفِ دينارٍ وخمسةٌ وستونَ ألفاً.

ومع ذلك : ذكَرَ ابنُ أبي الفيَّاض : [3] في تاريخه، قال: أُخبِرتُ أنه وُجِدَ في تاريخ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢ / ١١٥) .
(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (١٦ / ١٦١٢) .
(٣) هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض، ت: ٤٥٩هـ .

الناصر أيامُ السُّرور التي صفتْ له، فعُدَّت، فكانت أربعةَ عشَرَ يوماً، وقد ملَكَ خمسين سنةً ونصفاً [١] .

وبعضهم يتوهم أن السعادة في جمع الأموال ؛ والواقع يؤكد أن كثيرًا من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة دائمة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة لماذا ؟ لأنهم يتعبون في: جمع المال، وحفظه واستثماره، والقلق والخوف من فوات هذا المال وزواله [٢].

ومصداق ما مرّ من كلامٍ بأن السعادة ليست بالمال وجمعه، بل قد يكون المال وبالاً على صاحبه وسببًا لتعاسته ، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**تَعِسَ عَبْدُ الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعْطِيَ رضي، وإن لم يُعْطَ لم يرضَ**)) [٣].

وبعضهم يظن أن السعادة في العقل والذكاء ، وهذا يخالف ما هو واقع ومشاهد من حال كثير من الناس ، فكم مِن شخص ألمعي عبقري يعيش في ضيقٍ نفسي، يكاد ينصدع صدرُهُ مِن كثرة ما فيه من الهم والغم، بل يصل الحال ببعضهم إلى الانتحار – كما في البلاد الغربية – هروبًا من واقعهم.

فمِن هؤلاء :

– آلان تورينج : هو عالم حاسوب بريطاني رائد، ورياضياتي، وعالم منطق، وعالم تحليل الشفرات، وعالم بيولوجيا نظرية. كان له تأثير عظيم في تطوّر علوم الحاسوب النظرية، حيث أضفى الطابع الرسمي لمفاهيم الخوارزمية والحوسبة بواسطة آلة تورينج، والتي يمكن أن تُعتبر نموذجًا لحاسوب لأغراض عامة، يُعدُّ تورينج على نطاق واسع أبا علوم الحاسوب النظرية والذكاء الاصطناعي، بعد كل ما مر به آلان انتحر في يوم السابع من يونيو في عام ١٩٥٤ م ، بأكل جزء من تفاحة مسمومة، وذلك

(١) انظر (سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٢٦٥ – ٢٦٨) .
(٢) السعادة بين الوهم والحقيقة، للدكتور ناصر العمر (ص/ ٤).
(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : ما يتقى من فتنة المال(٨/ ٩٢) رقم : ٦٤٣٥.

بسبب بعض المشاكل التي حصلت له [١].

فهذا العالم هو أنموذج لكثيرٍ غيره ممن أنهى حياته انتحارًا [٢] ؛ وهروبًا مما كان فيه من الواقع[٣].

بل إن الأمن والأمان مع صِحَّةٍ في البدن ولقمة تسد الرمق هي مِن أعظم أسباب السعادة ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((**من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**))[٤]

وبما أن السعادة ليست في الجاه والسلطان أو في الشهرة والمال أو في العقل والذكاء – كما مرَّ معنا آنفًا – فلابد أن للسعادة مكانًا حقيقيًّا آخر غير الذي مرَّ معنا ، وهذا ما أرشدنا ودلَّنا عليه شرعنا الحنيف، فقد نبَّهَنا إلى أن القلب هو محَلُّ السعادة، والقلبُ معلومٌ أن مكانه الصدر، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى

---

(١) انظر: آلان تورينج في شجرة علماء الرياضيات ، ومذكرات السير الذاتية لزملاء الجمعية الملكية.

(٢) وقد حرَّم الإسلام الانتحار بكل أنواعه ، ورتَّب عليه أشدَّ العقوبة في الآخرة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء: ٢٩ – ٣٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((**من تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسّى سُمًّا فقتل نفسه، فسُمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**)) صحيح البخاري، كتاب: الطب ، باب : شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (٧/ ١٣٩) رقم : ٥٧٧٨ ، والإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، كتاب : الإيمان ، باب : غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (١/ ١٠٣) رقم : ١٧٥، بل يجب على الإنسان التعلّق بالله تعالى وعدم الهروب من أقداره سبحانه ، فإن في يدي الله سبحانه مقاليد السماوات والأرض، ومِن عنده يأتي الفَرَج.

(٣) فمن هؤلاء : جورج إيستمان الأمريكي : ١٨٥٤ – ١٩٣٢ م ، كاروثرز الأمريكي: ١٨٩٦ – ١٩٣٧ م ، إيدوين أرمسترونج الأمريكي : ١٨٩٠ – ١٩٥٤ م .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب الزهد (٤/ ٥٧٤) رقم : ٢٣٤٦، وابن حبان ، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة (٢/ ٤٤٥) رقم : ٦٧١. قال الألباني: حسن.

فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦) ، وهذا هو الذي عَنَاه الباري عز وجل في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾(الشرح: ١)، وبطمأنينة القلب يتَحَصَّل الإنسان على السعادة والسرور، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

قال الماوردي : في تفسيره لقوله تعالى﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾: وفي ﴿نَشْرَحْ ﴾ وجهان:

أحدهما: أي: أزال همك منك ؛ حتى تخلو لما أُمِرت به.

الثاني: أي نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق ، ومنه : تشريح اللحم ؛ لأنه فتحه لتقديده. وفيما شرح صدره ثلاثة أقاويل:

أحدها: الإسلام ، قاله ابن عباس. الثاني: بأنْ مُلِيءَ حِكْمَةً وعلماً ، قاله الحسن. الثالث : بما منّ عليه من الصبر والاحتمال ، قاله عطاء . ويحتمل رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوّة [١].

المبحث الثاني : السعادة هبة من الله .

إن مما يدل على أن السعادة هبة من الله تعالى : إسناده سبحانه انشراح الصدر له سبحانه ، وذلك في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ﴾ أي: ﴿نَشْرَحْ ﴾ نحن ﴿لَكَ ﴾ .

ومما يدل على ذلك : أيضًا قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (النجم:٤٣).

فقد ذكر السلف رحمهم الله تعالى معاني كثيرة لهذه الآية، فمِن هذه المعاني: أنه سبحانه وتعالى أضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم [٢].

وقال الماوردي : : فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الضحك والبكاء [٣]، الثاني: أنه أراد بالضحك السرور ،

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٩٦).

(٢) ذكره الإمام الطبري : في تفسيره جامع البيان (٢٢/ ٥٤٧) .

(٣) قال السعدي : في تفسيره : هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك (ص / ٨٢٢).

وبالبكاء الحزن [١]، والثالث: أنه خلق قوتَي الضحك والبكاء ، فإن الله ميز الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان ، فليس في سائر الحيوان ما يضحك ويبكي غير الإنسان. وقيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي ، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك [٢].

وليس بين القولين الأولين فيما نقله الإمام الماوردي : اختلاف ، فإن السرور سبب للضحك ، والحزن سبب للبكاء، والله أعلم .

وقال الإمام البغوي : : فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء[٣].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : لا، والله ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قط (إن الميت يعذب ببكاء أحد)، ولكنه قال: ﴿ إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابًا، وإن الله لهو: ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ ، ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (النجم:٣٨) [٤].

قال الحافظ ابن كثير : في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ أي : خَلَقَ في عباده الضحك والبكاء وسببَهما، وهما مختلفان !![٥].

يريد – والله أعلم – بيان عظيم قدرة الله تعالى على الخلق، والتي تظهر بخلق الشيء وخلافه، كالضحك والبكاء، والسرور والحزن.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ أي : فنُلِينُ لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة [٦].

فـ«شَرْحُ الصَّدْرِ» : بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه [٧]. أي : فسحناه

---

(١) قال عطاء بن أبي مسلم : : يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء. (معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ، ٤ / ٣١٦)
(٢) النكت والعيون (٥ / ٤٠٤).
(٣) معالم التنزيل (٤ / ٣١٦) .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب :الجنائز ، باب: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢ / ٦٤١) رقم : ٩٢٩.
(٥) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير (٧ / ٤٣٢).
(٦) ذكره الإمام الطبري : في تفسيره (٢٤/ ٤٩٣).
(٧) ذكره الراغب الاصفهاني : في المفردات (١ / ٤٤٩).

بما أودعناه من العلوم والحِكَم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل [1].

وهذا التقرير مقصود به التذكير ؛ لأجل أن يراعي صلى الله عليه وسلم هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من أذى قوم يريد صلاحَهم وإنقاذَهم من النار ورفعَ شأنهم بين الأمم؛ ليدوم على دعوته العظيمة نَشيطاً غير ذي أسف ولا كَمَدٍ [2].

وكأنه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لهذه الدعوة ؟ ونيسر لك أمرها ؟ ونجعلها حبيبة لقلبك، ونشرع لك طريقها ؟ ونُنزِلْ لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة ! فتش في صدرك – ألا تجد فيه الرَّوْح والانشراح والإشراق والنور ؟ واستعدْ في حسك مذاق هذا العطاء ، وقل : ألا تجد معه المتاع مع كل مشقة ، والراحة مع كل تعب ، واليسر مع كل عسر، والرضى مع كل حرمان ؟ [3].

فنَسَبَت هذه الآيةُ الكريمة انشراحَ الصدر إلى فعل الله تعالى ، فهو الذي يهبها لمن يشاء، ويرفعها عمَّن يشاء ، سبحانه.

المبحث الثالث : ملازمة اليسر لأيِّ عسر .

قال تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح:٥-٦) ، ففي هاتين الآيتين تكريرٌ ؛ لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء [4].

وقد ذكر ابن عطية : في تأويل هاتين الآيتين قولين :

الأول : أن مع ما تراه من الأذى فَرَجٌ يأتي، وكرر الله تعالى ذلك مبالغة وتبييتًا للخير، فقال بعض الناس: المعنى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ في الدنيا ، وإن ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ في الآخرة

---

(١) ذكره الإمام النسفي : في تفسيره (٣ / ٦٥٦) .
(٢) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٠٨)
(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب : (٦ / ٣٩٢٩).
(٤) معالم التنزيل (٥ / ٢٧٥).

.[1]

الثاني : أن مع كل عُسرٍ يُسرين بهذه الآية؛ من حيث العُسْر معروفٌ للعهد واليسرُ مُنكَّر، فالأول غير الثاني، وقد روي في هذا التأويل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[2].

ويؤيد هذا القول ما ذَكَرَه الحسن البصري : : قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يومًا مسرورًا فَرِحًا وهو يضحك ، وهو يقول: ((لن يغلب عُسْرٌ يُسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾))[3].

وهناك قول آخر ذكره القرطبي : فقال: قال قوم : هذا التكرير تأكيد للكلام ؛ كما يقال: ارم ارم، اعجل اعجل ؛ قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (التكاثر:٣-٤) ، ونظيره في تكرار الجواب : بلى بلى ، لا لا. وذلك للإطناب والمبالغة ؛ قاله الفراء. ومنه قول الشاعر :

---

(١) وتأييدًا لهذا القول ، قال أبو علي الجرجاني : صاحب «النظم»: تكلم الناس في قوله: ﴿ لن يغلب عسر يسرين ﴾ ، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة، فوجب أن يكون عسر واحد ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفًا، إن مع الفارس سيفًا، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدًا والسيف اثنين ، فمجاز قوله: ﴿ لن يغلب عسر يسرين ﴾ أن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مُقِلّ مخفّ، فكانت قريش تعيره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاغتَّم النبي لذلك، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره، فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعده الغنى، ليسليه بذلك عما خامره من الغم، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، فمجازه: لا يحزنك ما يقولون؛ فإن مع العسر يسرًا في الدنيا عاجلا .....، ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، والدليل على ابتدائه: تعريه من الفاء والواو . ثم قال: فقوله عليه السلام: ((لن يغلب عسر يسرين)) أي: لن يغلب عسر الدنيا اليسرَ الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل، أي : لا يجمعهما في الغلبة، كقوله صلى الله عليه وسلم : ((شهرا عيد لا ينقصان)) أي لا يجتمعان في النقصان انظر : معالم التنزيل للبغوي (٥ / ٢٧٦).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي (٥ / ٤٩٧) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٥) ، قال الذهبي :: مرسل.

وهَمَمْتُ بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها[1][2]

ومما يروى عن الإمام الشافعي : أنه قال[3]:

صَبرا جَميلاً ما أقرَبَ الفَرَجا ... مَن رَاقَب الله في الأمور نَجَا ...

مَن صَدَق الله لَم يَنَلْه أذَى ... وَمَن رَجَاه يَكون حَيثُ رَجَا ...

وأما الحكمة في الربط بين العُسر واليُسر بـ ﴿مَعَ﴾ فقد نَبَّه عليها أبو حيان : فقال: ولما كان اليُسْرُ يعتقب العسر من غير تطاول أزمان ، جعل كأنه معه[4].

ففي الآية بشارة بقُرب الفَرَج – لكنه قد يكون في بعض الأحيان يتأخر الفَرَج، وذلك إما لزيادة الأجر ، أو تمحيص الإيمان، كما هو معروف من قصة يوسف ورجوعه إلى أبيه يعقوب عليهما الصلاة والسلام، وأما في الغالب فإن أيَّ عُسْر لابد من يُسْرٍ مَعَه ﴿مَعَ﴾ وليس بعده، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحياله حَجَر فقال: ((لو جاء العُسْرُ فدَخَل هذا الحَجَر ؛ لجاء اليُسْر فدَخَل عليه فأخرجه)) [5].

وَلَرُب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المَخْرَجُ

ضاقتْ فلما استَحْكَمَتْ حلقاتُها ... فُرِجَت وكنتُ أظنُّها لا تُفْرَج [6]

المبحث الرابع : أسباب السعادة .

المطلب الأول : أسباب خارجية .

المسألة الأولى : تكفير الذنوب والسيئات .

---

(١) هو بيت من قصيدة للخنساء « العقد الفريد» (٣/ ٢٢٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢ / ٣٥٨) .
(٣) ديوان الإمام الشافعي : (ص/ ٣٩).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(١٠ / ٥٠١).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب : التفسير ، من كتاب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجاه وقد صح سنده (٢/ ٢٨٠) .
(٦) من قصيدة للإمام الشافعي : ، أنظر ديوانه (ص / ٣٩).

إن من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة تكفير الذنوب والسيئات، فإن في تكفيرهما مِنَّةً عظيمة يَمُنُّ الباري عز وجل بها على عباده، كما قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح:٢).

فالوِزْر هنا: الذنوب، وأصله الثقل، فشُبِّهَت الذنوب به.. وقال المحاسبي :[١] : إنما وُصِفَت ذنوبُ الأنبياء بالثقل وهي صغائر مغفورة ، لِهَمّهم بها ، وتحسرهم عليها [٢]، يعني : ثِقْل الوِزْر لو لَمْ يَعْفُ اللّٰهُ عنه [٣].

وقيل : هو زَلَّةٌ لا تُعرفُ بعينِها، وهي تَرْكُ الأفضلِ مع إتيانِ الفاضِل ، والأنبياء يُعاتَبون بِمثلِها، ووَضْعُهُ عنه : أنْ غُفِرَ له [٤].

ولا يخفى على عاقل لبيبٍ أن الذنوب والسيئات لها ثقل يَقْصِم الظهر، فقد شبهها الباري عز وجل بالشيء الثقيل الذي يكاد يكسر الظهر، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت:١٣)، وفي قوله أيضًا : ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشرح:٣) ، ولذلك فإن تكفير والذنوب والسيئات من أعظم النعم على الانسان.

قال الطاهر ابن عاشور : : وإسناد ﴿أَنقَضَ﴾ إلى الوِزْر مجاز عقلي ، وتَعْدِيَتُه إلى «الظَّهْر» تَبَعٌ ؛ لتشبيه المشقة بالحَمْل ، فالتركيب تمثيل لمتَجَشم المشاقِّ الشديدة بالحَمولة المثقّلة بالأحمال تثقيلاً شديداً حتى يُسْمَع لعظام ظهرها فَرْقَعةٌ وصَرِيرٌ [٥].

قال الإمام الطبري : في تفسير قوله تعالى:﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ : يقول تعالى : وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنتَ فيها ... يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه [٦].

---

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، ت : ٢٤٣هـ .
(٢) المحرر الوجيز (٥ / ٤٩٧).
(٣) ذكره ابن عادل الحنبلي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب وعزاه كذلك للمحاسبي رحمهما الله (٢٠/ ٤٠٠).
(٤) ذكره الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣ / ٦٥٦).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤١٠).
(٦) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (٢٤ / ٤٩٣).

قال الحسن، ومجاهد وقتادة، والضحاك رحمهم الله : وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)[١].

وفي كلامهم رحمهم الله نظر، فإن الله قد حفظ رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم مِن الذنوب والآثام ، بل ومِن كل ما يخرم المروءةِ ، فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ بحفظ الله تعالى له، فلَم يُعْهد عليه شربُ خمرٍ أو سجودٌ لصنمٍ أو أكلٌ لربا أو غيرها أبدًا ، فلو كان عنده مِن هذه الأمور شيئ لعيَّره به المشركون.

وهناك رأي قويٌّ ووجيهٌ ذكره أبو حيان : في معنى الآية فهو يقول: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ كنايةٌ عن عِصْمَتِه مِن الذنوب وتطهيره من الأدناس ، عُبّر عن ذلك بالحَطّ على سبيلِ المبالغة في انتفاء ذلك ، كما يقول القائل: رَفَعْتُ عنك مشقة الزيارة ، لمن لم يصدر منه زيارة ، على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه[٢].

وقد يكون وضعُ الوِزر عنه صلى الله عليه وسلم : بشرح صدره له فخف وهان، أو بتوفيقه وتيسيره للدعوة ومداخل القلوب، أو بالوحي الذي يكشف له عن الحقيقة ويعينه على التسلل به إلى النفوس في يُسْرٍ وهوادة ولين[٣].

وعلى كل حالٍ ، فإن الآية شاهدة بأن المتخفف من الذنوب : إما بالعصمة منها بعدم مواقعتها كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما بتكفيرها عنه ؛ أنه منشرحُ الصدرِ مسرورُ القلبِ.

المسألة الثانية : الثناء الجميل والذِّكر الحسن .

إن من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة : رَفْعَ الذكْرِ بالثناء الجميل ، والذِّكر الحسن، وهو ما دعا به نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)، قال الحافظ ابن كثير : : أي: واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي أذكر

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٥ / ٢٧٤).
(٢) البحر المحيط (١٠ / ٥٠٠).
(٣) في ظلال القرآن، بتصرف يسير (٦ / ٣٩٢٩).

به، ويقتدى بي في الخير[1].

بل إن الثناء الجميل والذِّكر الحسن هما مما امتن الله به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

ورَفْعُ الذكرِ المذكورُ في هذه الآية لا يلزم منه أن يكون في الدنيا أو الآخرة فقط ، بل يَشمل الدنيا والآخرة مَعًا، فإن الباري عز وجل لم يحدده في زمان معين، ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين))[2]، فلم يحدد صلى الله عليه وسلم زمنَ هذا الرفع والخفض في الحديث، فيكون داخلاً فيه رفعُ الذِّكْر في الدنيا والآخرة.

قال الملا علي القاري :[3] في شرحه للحديث السابق: أي: جماعاتٍ كثيرة في الدنيا والآخرة، بأن يحييهم حياة طيبة في الدنيا ، ويجعلهم من الذين أنعم الله عليهم في العقبى[4].

وهذا الأمر واضح جلي لمن تتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، فإن بلالاً رضي الله عنه كان – قبل إيمانه – عبدًا يُباعُ ويُشترى في الأسواق، فلما آمن – وأخذ هذا الكتاب العظيم – رَفَعَهُ اللهُ في الدنيا : بأنْ ارتقى فوق الكعبة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأذن أمام الناس مسلمهم ومشركهم، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم مؤذّنَه وأمينًا على دخولِ وقتِ الصلاة، بل في كثير من البلدان الإسلامية قد ارتبط اسم بلالٍ رضي الله عنه مع الأذان ، هذا في الدنيا. وأما في الآخرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه عند صلاة الفجر : **((يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة)) قال: (ما عملت عملاً أَرْجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا، في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي)**[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٤٧).

(٢) صحيح مسلم ، الكتاب : الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه (١/ ٥٥٩) رقم : ٨١٧ .

(٣) هو : علي بن سلطان محمد، الملا علي القاري ، ت : ١٠١٤هـ.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا علي القاري (٤/ ١٤٥٧).

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التهجد، باب: فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد

قال الإمام الطبري : في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ : فلا أُذكر إلا ذكرت معي، وذلك قول : لا إله إلا الله، محمد رسول الله [١].

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : يريد الأذان والإقامة [٢]، والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبدًا عَبَدَ اللهَ وصَدَّقَه في كل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسول الله؛ لم ينتفع بشيء، وكان كافرًا [٣].

وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أَغَرُّ عليه للنبوة خاتمٌ من الله مشهودٌ يَلوُحُ ويُشْهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذنُ: أشهدُ

وشقَّ له من إسمه لِيُجِلّه فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمدُ [٤].

قال قتادة : : فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله [٥].

قال ابن عطية : ورفع الذكر نعمة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك هو جميلٌ حَسَنٌ للقائمين بأمور الناس، وخمول الاسم والذكر حَسَنٌ للمنفردين للعبادة [٦].

وقد جعل اللهُ له صلى الله عليه وسلم الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يُذكر اللهُ إلا ذُكِرَ معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في الدخول في

الوضوء بالليل والنهار (٢/ ٥٣) رقم : ١١٤٩ ، صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب : من فضائل بلال رضي الله عنه (٤/ ١٩١٠) رقم: ٢٤٥٨ .

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٩٤) .

(٢) قال ابن عطية : : وهذا متجه ، إلاّ أن الآية نزلت بمكة قديمًا، والأذان شُرِع بالمدينة (المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٧).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٥/ ٢٧٤).

(٤) الأبيات من مطلع قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه (ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، ص/ ٥٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥).

(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٧).

الإسلام [١].

ولذا فإن الحسنة التي أُعْطِيَت للخليل صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (النحل: ١٢٢): هي لسانُ الصدقِ كما قاله مجاهد: [٢].

وأعطى سبحانه أيضًا الذِّكر الحسن لأنبيائه إسحاق ويعقوب مع أبيهم إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وذلك في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (مريم :٥) يعني: ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس إلى قيام الساعة [٣].

قال الإمام الطبري: : وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم [٤].

وأخرج الإمام مسلم: في صحيحه عن أبي ذَرّ رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمدُهُ الناسُ عليه؟ قال: (تلك عاجل بُشْرى المؤمن)[٥].

وهذا في الرجل الذي يعمل العمل الصالح خالصًا لوجه الله تعالى، ولا يريد إظهاره للناس؛ لأنَّه لو عَمِلَه ليحمدَه الناسُ أو يبرّوه لكان مرائيًا، ويكون ذلك العملُ باطلاً فاسدًا بل مُلامًا عليه في الآخرة، وإنما بلُطْفِهِ سبحانه وتعالى ورحمته وكرمه يُعامِلُ المخلصين في الأعمال، الصادقين في الأقوال والأحوال بأنواع من اللطف، فيقذف في القلوب محبتهم، ويطلق الألسنة بالثناء عليهم؛ لينوِّه بذكرهم في الملأ الأعلى؛ ليستغفروا لهم، وينشر طيبَ ذِكرهم في الدنيا؛ ليُقتدَى بهم، فيعظم أجرهم، وترتفع

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص/ ٩٢٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨١).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره لأبي محمد مكي بن أبي طالب (٧/ ٤٥٥٠).
(٤) جامع البيان (١٨/ ٢٠٨).
(٥) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (٤/ ٢٠٣٤)، رقم: ٢٦٤٢.

منازلهم، وليجعل ذلك علامة على استقامة أحوالهم، وبشرى بحسن مآلهم، وكثير ثوابهم، ولذلك قال : (تلك عاجل بُشْرى المؤمن) والله تعالى أعلم [١].

والبُشرى هي الخبر الذي يستبشر به الإنسان ويفرح ، فكان في الذّكْر الحسن والسُّمعة الطيبة سببٌ للسعادة والسرور.

المطلب الثاني : أسباب ذاتية . المسألة الأولى: الإخلاص .

إن من أسباب سعادة العبد في الدنيا والآخرة : إخلاص العمل لله تعالى، كيف لا وهو سببُ قبول العمل عند الله سبحانه، فقد أمر سبحانه عباده به في أكثر من موضع في كتابه العزيز، قال : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾(البينة:٥).

قال العلّامة أبو السعود : : أي : جاعلينَ دينَهُم خَالِصاً له تعالَى ، أو جاعلينَ أنفسَهُم خالِصةً لَهُ تعالى في الدِّينِ ، ﴿حُنَفَآءَ ﴾ مائلينَ عن جميعِ العقائدِ الزائغةِ إلى الإسلامِ [٢].

وأما أدلة السعادة في الدنيا والآخرة بإخلاص العمل لله تعالى فمنها ما يلي :

أولاً : أدلة السعادة في الدنيا

منها – على سبيل المثال لا الحصر – :

قوله سبحانه : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الزمر:٢٩).

قال الحافظ ابن الجوزي : وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ للمؤمِن والكافر، فإن الكافر يعبُد آلهةً شتّى، فمَثَّلَه بعَبْدٍ يَملِكُه جماعةٌ يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلُغ رضاهم أجمعين ، والمؤمن يعبُد الله وحده، فمثَّله بعَبْدٍ لرجُلٍ واحد، قد عَلِم مقاصدَه وعَرَفَ الطريق إلى رضاه، فهو في راحَةٍ مِن تَشاكُس الخُلَطاء فيه [٣].

---

(١) المفهم شرح صحيح مسلم ، للقرطبي (٦ / ٦٤٨) .
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي (٩/ ١٨٥).
(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤ / ١٧).

فكان اجتماع هَمّ المخلص على رضا الله سبحانه تعالى وحده سببًا لطمأنينة القلب وانشراح الصدر وسرور النفس.

ثانيًا : أدلة السعادة في الآخرة

منها – على سبيل المثال لا الحصر – :

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّه قال : قيل : يا رسول الله ، من أسعد النّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لقد ظننت يا أبا هريرة ، أن لّا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك ؛ لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلّا الله خالصًا مِن قلبه– أو نفسه)**[1].

قال البيضاوي :[2] : و»أسعد» ههنا بمعنى: السعيد، إذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد، والمراد بـ «من قال» : من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة، ويستوجب به الخلاص من النار، فإن احتياجه إلى الشفاعة أكثر، وانتفاعه بها أوفر[3].

وأما موضع الاستدلال على الإخلاص في سورة الشرح : فهو قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الشرح:٨)، أي: إلى الله وحده لا إلى غيره.

قال سفيان الثوري : : اجعل نيتك ورغبتك إلى الله، عز وجل[4].

وقال الزمخشري : واجعل رغبتك إليه خصوصًا، ولا تسأل إلا فضله ، متوكلاً عليه[5].

وأما تعدية فِعْل ﴿فَٱرْغَب﴾ هنا بحرف ﴿إلى﴾ ؛ فلتضمينه معنى الإقبال والتوجه، تشبيهاً بسير السائر إلى من عنده حاجته، كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (الصافات:٩٩)، وتقديم ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على ﴿فَٱرْغَب﴾ لإفادة الاختصاص،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : الحرص على الحديث (١/ ٣١) ، رقم :٩٩ .
(٢) هو عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ت: ٦٨٥ هـ .
(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (٣/ ٤١١) .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٤٣٣).
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ٧٧٢).

أي : إليه ، لا إلى غيره تكون رغبتك؛ فإن صفة الرسالة أعظم صفات الخلق ؛ فلا يليق بصاحبها أن يرغب إلى غير الله تعالى[1].

وخُتِمت سورة الشرح بالدعوة للإخلاص لله تعالى، وكأنها إشارة إلى أن الإخلاص سببٌ لانشراح الصدر وسعادته.

المسألة الثانية : حُسْن استغلال الوقت.

وإن من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة : حُسْن استغلال الوقت، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))** [2]. فمِن توفيق الله تعالى للعبد أن يُشغِله بعملٍ ينتفع به في دنياه وآخرته .

قال الحافظ ابن الجوزي : اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا للعبادة ؛ لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون متفرغًا من الأشغال ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا للعبد ثم غَلَب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغُبن، كيف والدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر[3].

بل إن مما يتحسر عليه بعض الناس يوم القيامة : تفريطهم وتضييعهم لأوقاتهم في الدنيا بلا عملٍ نافع ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣١).

قال الخازن : عَلى ما فَرَّطْنا يعني قصرنا فِيها يعني في الدنيا ؛ لأنها موضع التفريط في الأعمال الصالحة ، والمعنى : يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا[4].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٨).
(٢) صحيح البخاري، كتاب : الرقاق ، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة (٨/ ٨٨) ، رقم : ٦٤١٢.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٤٣٧).
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٠٨)

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي [١].

وقال الإمام الحسن البصري : أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم، وقال : يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك [٢].

وقال ابن عقيل : :إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره [٣].

وقال الإمام ابن القيم : :إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها [٤].

وأما موضع الاستدلال على حُسْن استغلال الوقت في سورة الشرح : فهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ (الشرح:٧).

قال الإمام الطبري : : إن الله تعالى ذِكْره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كلّ ما كان به مشتغلاً من أمر دنياه وآخرته، مما أدّى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قرّبه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال، فسواء كلّ أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلاً ؛ لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى [٥].

ثم أمر الله تعالى نبيه بمتابعة العبادة والعمل والطاعة، فإذا فرغ من شغل من أشغال

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان (٣/ ٣٠).
(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار لعبد العزيز السلمان (٣/ ٢٩).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (١/ ٣٢٤).
(٤) **الفوائد** لابن القيم (ص/ ٣١).
(٥) جامع البيان (٢٤/ ٤٩٧).

النبوة والعبادة، فعليه أن ينصب (يتعب) في آخر، والنصب: التعب، فالمعنى: أن يدأب على ما أمر به ولا يفتر[1].

قال الزمخشري: لمّا عَدّدَ عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتًا من أوقاته منها. فإذا فرغ من عبادة ذَنَبَها بأخرى.[2].

وقال الطاهر بن عاشور : : وفِعْلُ « فَرَغَ » يفيد أن فاعله كان مملوءاً بشيء، وفراغ الإنسان مجاز في إتمامه ما شأنه أن يعمله. قال: ولم يذكر هنا متعلق ﴿ فَرَغْتَ﴾ ، وسياق الكلام يقتضي أنه لازم أعمال يعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن مساق السورة في تيسير مصاعب الدعوة وما يحف بها.. فالمعنى: إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال فأقبل على عمل آخر، بحيث يعمر أوقاته كلها بالأعمال العظيمة ..... فقوله : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ تمهيد وإفادة لإيلاءِ العمل بعملٍ آخر في تقرير الدين ونفع الأمة . وهذا من صيغ الدلالة على تعاقب الأعمال [3].

وهذا النظام الذي يُعَلّمه الله سبحانه وتعالى نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم – بحيث لا يكون عنده وقتُ فراغ إلاّ سدَّه بما يُقرّبه إلى الله تعالى ؛ يجعل الإنسانَ كثير الإنجاز ، قليل الهموم ، ولا شكَّ أن ذلك من أهم أسباب السعادة وانشراح الصدر.

المسألة الثالثة : الصلاة لله وقيام الليل.

إن من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة : الصلاة لله وقيام الليل، فأما الصلاة فهي صِلة العبد بربه وأُنسُه وقُربه، وأما قيام الليل فهو اختلاءُ العبدِ برَبّهِ ؛ بحيث لا يراه أَحَدٌ.

وأما موضع الاستدلال على الصلاة لله وقيام الليل في سورة الشرح : فهو قوله

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢٨٩٦).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٧٢).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤١٦).

تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح:٧).

قال السعدي : : أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء[١].

وقال الطاهر ابن عاشور : وهذا الحكم ينسحب على كل عمل ممكن من أعماله الخاصة به ، مثل قيام الليل ، والجهاد عند تَقَوّي المسلمين ، وتدبير أمور الأمة... وفائدة تقديم قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ على : ﴿فَانصَبْ﴾ للاهتمام بتعليق العمل بوقت الفراغ من غيره لتتعاقب الأعمال[٢].

ولا شك إن إقامة الصلاة من أبرز علامات التقوى وأهلها ، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢-٣)، بل هي صفةٌ من صفات أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ[٣] وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وللصلاة وإقامتها فضائل كثيرة وعظيمة ، فمن هذه الفضائل على سبيل المثال لا الحصر :

- أنها من أسباب الطمأنينة عند البلاء، قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٥٣ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٥٣-١٥٤).

- أنها من أسباب فلاح العبد في الدارين، قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ[٤] خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون:١-٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٩٢٩).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٧).
(٣) قال البقاعي : : ولما كانت الصلاة أم الخيرات، خصها بالذكر في (نظم الدرر، ١٢/ ٤٤٩).
(٤) قال ابن عجيبة : : وأضيفت الصلاة إلى المصلين لانتفاع المصلِّي بها وحده ، وهي عُدَّته وذخيرته (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ،٣/ ٥٦٢).

– أنها من أسباب النجاة يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٧).

ومن فضائل قيام الليل : أنه شَرَفُ المؤمن ، وثوابُه الذي ادَّخره له ربُّه سبحانه يوم القيامة ، قال تعالى:﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦-١٧).

وثبت في المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((... ما من رجل يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول عند فراغه من وضوئه : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ إلاّ فُتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء)) ثم قال: ((يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم)) ، « ثلاث مرات « ثم يقول : ((أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ ، ثم يقول: أين الذين كانوا : ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٣٧) إلى آخر الآية ، ثم ينادي مناد : سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ، ثم يقول: أين الحمادون الذين كانوا يحمدون ربهم...))** [1].

ومما يدل على أن الصلاة من أسباب سعادة العبد : قوله صلى الله عليه وسلم: **((يا**

(١) المستدرك كتاب : التفسير ، تفسير سورة النور (٢/ ٤٣٢) رقم : ٣٥٠٨ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

بلال أقم الصلاة أرحنا بها[1]))[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا : ((حُبّبَ إلي من الدنيا النساءُ والطّيب، وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْني في الصلاة)) [3].

قال الشوكاني : : لكن كون الصلاة جُعِلَت قُرّة عَينِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ؛ مما يحرك نشاط الراغبين في الخير إلى الاستكثار منها، وأنْ تكون قرة أعينهم في الصلاة كما كانت قرة عينه في الصلاة. وهذه الصلاة التي كانت فيها قرة عين رسول الله صلى الله عليه وسلم تتناول الفرائض والنوافل [4].

والناس في الصلاة على مراتب عَدّة ، وقد ذكرها الإمام ابن القيّم : في الوابل الصيب، ومِن هذه المراتب ، قال : الرابع : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه

---

(١) قال المباركفوري : : واعلم أنه ذُكر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : أرحنا بها يا بلال وجهان: أحدهما : أنْ أَذِّنْ بالصلاة حتى نستريح بأدائها من شغل القلب فيها. وثانيهما : أنه كان اشتغاله صلى الله عليه وسلم بالصلاة راحة له، فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً، فكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى، ولذا قال: ((وجعلت قرة عين لي في الصلاة)). وما أقرب الراحة من قرة العين. وهذان المعنيان مذكوران في النهاية، والفرق بينهما أن الراحة في الأول بخلاص الذمة بالأداء عن تعب الاشتغال بالصلاة، وتعلق القلب بها. وفي الثاني الراحة بوجود الصلاة، ولذة المناجاة وشهود الحق الذي كان يحصل فيها، ولا شك أن الحمل على المعنى الثاني أنسب وأليق بمقامه صلى الله عليه وسلم (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ، ٤ / ٢٥٥).

(٢) سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : في صلاة العتمة (٤ / ٢٩٦) رقم : ٤٩٨٥ ، قال الألباني: صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (٢١/ ٤٣٣) رقم : ١٤٠٣٧ ، (سنن النسائي) المجتبى من السنن للإمام أبي عبد الرحمن أحمد النسائي ، كتاب : عشرة النساء ، باب : حب النساء (٧/ ٦١) رقم: ٣٩٣٩ قال الألباني: حسن صحيح .

(٤) ولاية الله والطريق إليها للشوكاني (ص / ٤٢٧).

بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقبله إليه مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

ثم قال : : والرابع مثاب ، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة [1].

المسألة الرابعة : الرغبة فيما عند الله سبحانه [2].

إن من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة : الرغبة فيما عند الله سبحانه ؛ وذلك لأن العبد يكون في الدنيا مُتَعَلّقَ القلبِ بالله تعالى، لا يلتفت ولا يرجو إلاّ اللهَ تعالى، فإذا كان هذا هو حال القلب مع الله تعالى هدأ وسكن ، ثم اطمأن وسَعِد.

وأما موضع الاستدلال على الرغبة فيما عند الله سبحانه في سورة الشرح : فهو قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ (الشرح:٨).

قال عطاء : يريد : تَضَرَّعْ إليه راهبًا من النار راغبًا في الجنة ، وقال الزجاج : أي: اجعل رغبتك إلى الله وحده [3].

قال الإمام الطبري : وإلى ربك يا محمد ، فاجعل رغبتك ، دون من سواه من خلقه ، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد [4].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب للإمام ابن القيم (ص/ ٢٣).
(٢) قال الإمام ابن القيم : : والفرق بين الرغبة والرجاء : أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب. فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ، ٢ / ٥٥) .
(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٤/ ٥٢١).
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٩٧).

وقد جاء ذِكْر الرغبة إلى الله تعالى في السنة المطهرة في أكثر من موضع ، منها : قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا سمعتم أصوات الدِّيَكَة، فإنها رأت مَلَكًا، فاسألوا الله وارغبوا إليه، وإذا سمعتم نهاق الحمير، فإنها رأت شيطانًا، فاستعيذوا بالله مِن شَرِّ ما رأت))[1].

بل ثَبَتَ عنه صلى الله عليه وسلم الحَثُّ على الرغبة إلى الله تعالى حتى قبل النوم ، وذلك حتى يختم العبد يومه بهذه العبادة العظيمة، فقال صلى الله عليه وسلم : **((إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قُلْ : اللهم أَسْلَمْت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رَغْبَةً ورَهْبَةً إليك ....))**[2] .

ولابد من معرفة أن الرغبة نوعان : رَغْبَةٌ إلى الله ، ورَغْبَةٌ فيما عند الله :

فأما الرَغْبَةُ إلى الله ، فهي طلب الأمور المعنوية ، والتي تكون مُتَعَلِّقَةً بالسعادة الأُخْرَوِيَّة ، كَرِضَى الله عن العَبْد ، والمغفرة، والتأييد، والتَّثْبيت على الحق، وغيرها ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾(التوبة:٥٩) وقوله سبحانه :﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ (القلم:٣٢).

وأما الرَغْبَةُ فيما عند الله : فهي طلب الأمور الحِسِّية ، وهي المُتَعَلِّقَةُ بكمال السعادة الدُّنيَوِيَّة ، كالرِّزق، والأكل والشرب، والولد، وغيرها .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٤/ ٢٠) رقم : ٨٢٦٨ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : فضل من بات على الوضوء (١ / ٥٨) ، رقم: ٢٤٧ ، ومسلم ، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤ / ٢٠٩١) رقم : ٢٧١٠ .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات ، وبتوفيقه يصل المرءُ إلى أسمى الغايات ، والشكر له على ما تفضَّل وأَعانَ ، حمدًا يليق بجلاله تعالى، أمّا بعد ..

فلقد قَضَيْتُ أسابيع وشُهورًا مُطَّلِعًا ومتأمِّلاً ودارِسًا سورةَ الشرح وما تحمله من معاني للسرور والسعادة ، وقد ظَهَرَ لي مِن خلال هذا البحث نتائج مهمة ، فمن أَهَمِّ تلك النتائج :

أولاً : أن القلب هو المكان الحقيقي للسعادة .

ثانيًا : أن السعادة هبة من الله .

ثالثًا: أن لابد مِن ملازمة اليُسْر لأيِّ عُسْر .

رابعًا: أن للسعادة أسباباً خارجية ، منها : تكفير الذنوب والسيئات، والثناء الجميل والذِّكر الحسن .

خامسًا: أن للسعادة أسباباً ذاتية ، منها : الإخلاص ، وحُسْن استغلال الوقت، والصلاة لله وقيام الليل، والرغبة فيما عند الله سبحانه.

سادسًا: أن السرور منه : ما هو ممدوح ، ومنه : ما هو المذموم ، وهو على النحو الآتي :

السرور الممدوح ، منه : ما يكون في الدنيا ، ومنه : ما يكون في الآخرة :

فأما الممدوح في الدنيا : فهو ما كان ناتجًا عن طاعة لله تعالى ومرضاته، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس:٥٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم : **((إن السعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن، إن السعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن ، إن السعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن ، ولمن ابتلي فصبر ، فَوَاهًا))**[1].

وأما السرور في الآخرة ؛ فذلك عندما يرى العبد المؤمن فوزه ونجاته ، كما في قوله

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب : الفتن والملاحم ، باب : في النهي عن السعي في الفتنة (٤ / ١٠٢) رقم: ٤٢٦٣.

تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق:٧-٩).

وأما السرور المذموم: فهو الذي يُشغل العبدَ ويُبعده عن الله وطاعته، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق:١٠-١٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود:١٠).

هذا وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم ؛ بمَنِّه وكَرَمِه وجودِه وفضلِه وإحسانه أن يجعل هذا العَمَلَ خالصًا لوجهه الكريم ، ويتقبَّله مني ، ويجعله لي ذُخرًا يوم أن ألقاه ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [1]، وأن ينفع به كل مُطَّلِعٍ وقارئ

وفي الختام أشكر القائمين والعاملين بقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به مِن دعمٍ ماليّ ومعنوي لهذا البحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وصلِّ اللهُم وسلم على نبيِّنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن سار بهديه إلى يوم الدين ، وعنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

(١) الآية (٨٨-٨٩) من سورة الشعراء .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- التحرير والتنوير ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ .
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م .
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، ناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، المحقق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .
- ديوان الإمام الشافعي ، تحقيق : عبدالرحمن المصطاوي، الناشر : دار المعرفة بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، تحقيق : عبدالله سنده ، الناشر : دار المعرفة بيروت، الطبعة: الثانية ، ١٤٢٩ هـ.

- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- السعادة بين الوهم والحقيقة، المؤلف: الدكتور ناصر العمر.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
- سنن النسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ .
- سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ .
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى

الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- العقد الفريد، لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بابن عبد ربه الأندلسي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م .
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد الملا الهروي، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، محقق : عبد الرزاق المهدي، ناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المؤلف: إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
- مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان.
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان ، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤ هـ .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بالماوردي، المحقق:

السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
- ولاية الله والطريق إليها، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: إبراهيم هلال، الناشر: دار الكتب الحديثة – مصر / القاهرة.